الرسالة

(عبرانيين ١: ١٠–١٤؛ ٢: ١–٣)

أنتَ يا ربُّ في البدءِ أسَّستَ الأرضَ والسمواتُ هي صُنعُ يدَيْكَ* وهي تزولُ وأنتَ تبقى وكلُّها تَبلى كالثوبِ* وتَطويها كالرداءِ فتتغيَّرُ وأنتَ أنتَ وسنوكَ لن تَفنى* ولِمَنْ من الملائكةِ قالَ قطُّ اجلِسْ عن يميني حتى أجعلَ أعداءَكَ موطِئاً لقدَمَيْكَ* أليسوا جميعُهم أرواحاً خادِمةً تُرْسَلُ للخدمةِ من أجلِ الذينَ سيرِثونَ الخلاص* فلذلك يجبُ علينا أن نُصغي إلى ما سمِعناهُ إصغاءً أشدَّ لئلاَّ يسرَبَ من أذهانِنا* فإنَّها إن كانتِ الكلِمةُ التي نُطِقَ بها على ألسِنةِ ملائِكةٍ قد ثبَتت وكلُّ تعدٍّ ومعصِيَةٍ نالَ جزاءً عدلاً* فكيفَ نُفلِتُ نحنُ إن أهمَلنا خلاصاً عظيماً كهذا قد نُطِقَ به على لسان الربِّ أولاً ثمَّ ثبَّتَهُ لنا الذينَ سمِعوه.

السرّ الخفيّ منذ الدهور

عندما نقرأ إنجيل عيد بشارة والدة الإله، ينتابنا ذهول من فحوى بشارة الملاك جبرائيل. يخبرنا الملاك، عبر العذراء مريم، عن مشيئة ابن الله الذي يريد أن يصير ابنًا للبشر ليبتدئ عمله الخلاصيّ. لقد عبّرت الكنيسة عن هذه الدهشة من خلال ليتورجيا العيد، إذ تجعلنا واقفين أمام سرّ ينكشف لنا، فنصغي بحكمة لندرك، قدر الإمكان، غوامض هذا السرّ المُستَعلَن.

العدد ٢٠١٩/١٢
الأحد ٢٤ آذار
الأحد الثاني من الصوم
(أحد القديس غريغوريوس بالاماس)
تقدمة عيد البشارة
اللحن الثاني
إنجيل السَحَر العاشر

نقول في القطعة الأولى من قطع صلاة غروب العيد: «إنّ جبرائيل قد حضر نحوك أيّتها الفتاة ليكشف لكِ القصد الذي قبل الدهور»، ثمّ نسمع، على لسان الملاك، سلامًا يُلقى على العذراء، وتعدادًا لأمور من العهد القديم رأت فيها الكنيسةُ صورًا مسبقة عن العذراء وحبلها بابن الله، مثل العلّيقة غير المحترقة والجسر السماويّ وسلّم يعقوب وجرّة المنّ. كانت هذه الصور تحضيرًا للبشريّة كي تقبل استعلان السرّ الأعظم، سرّ تجسّد ابن الله. متى تأمّلنا في هذه الصور، نقبل البشارة، ونثق بقدرة الله على تحقيق المعجزة، فلا تعود الدهشة مصدر شكٍّ لنا بل سبب تمجيد لله.

بعدما تكلّم الملاك، سألته العذراء، كما يرد في القطعة الثانية من الغروب، لماذا ينطق بأقوال تفوق عقل الإنسان، مستفسرةً منه عن كيفيّة صيرورتها محلًّا رحبًا للراكب على الشيروبيم، حينئذٍ أخبرها الملاك أنّه حيث يشاء الإله تُغلَب ترتيبات الطبيعة ويُصنع ما يفوق الإنسان. لا يقتصر التعجُّب من عظمة سرّ التجسّد على البشر، بل يشمل الملائكة أيضًا. نقرأ أيضًا، في صلاة الغروب، أنّ جبرائيل، عندما أُرسل من السماء ليبشّر العذراء، جاء إلى الناصرة مفتكرًا في نفسه ومنذهلاً من العجب. تعجّبَ الملاك من عظمة تنازل الإله، إذ الذي لا تسعه السماوات يوسَع في مستودع امرأة. لكنّ الملاك تعجّب أيضًا من نقاوة العذراء مريم وقداستها، فهي سدّة الملك التي تحمل الضابط الكلّ، وهي العلوّ الذي يعسر الصعود نحوه

بالأفكار البشريّة، وهي في الوقت ذاته العمق الذي يُمتنع النظر إليه من أبصار الملائكة (كما نرتّل في خدمة المديح).

نقول في صلاة سَحَر عيد البشارة: «اليوم ينكشف السرّ الذي قبل الدهور». هذا السرّ الخفيّ منذ الدهور، غير المعلوم حتّى مِنَ الملائكة، ظهر في والدة الإله. هذا السرّ هو سرّ محبّة الله التي تبذل نفسها فداءً عن الأحبّة. صنع الله معجزات كثيرة وعظيمة في العهد القديم، كانت كلُّها تظهر قدرة الله غير المتناهية وعنايته بالبشر ليرشدهم إلى الخلاص. عظمة الله، التي ظهرت في العهد القديم، كانت تهيئةً لنا لنفهم تواضعه الأقصى وندرك قدرة محبّته. تعالي الله لا يتناقض مع تنازله إلينا. الربّ يتسامى بمحبّته، والمحبّة الحقيقيّة لا تدع أيّ حاجز يقف بين المحبّ والمحبوب. هكذا، عندما خاب آدم ولم يصر إلهًا، صار الإله إنسانًا لكي يصيّر آدم إلهًا بالنعمة. هذه هي المحبّة الحقيقيّة الكليّة الإقتدار، التي جعلت المتعالي يتّخذ الأدنى ليهبنا الأفضل.

كان سرّ التجسّد الإلهيّ من قبل الدهور، لأنّ الله شاء قبل الأزمنة أن يخلق الإنسان على صورته ومثاله ليمنح البشر إمكانيّة الإتّحاد بالله. لكنّ الله، الذي له المعرفة المطلقة، كان يعرف أنّ الإنسان سيبتعد عن خلاصه عبر سقوطه في محبّة الذّات. كان الله يعرف أنّ كلمة الله سيتجسّد لنتعلّم نحن معنى إنكار الذّات. يعتدّ الإنسانُ بقوّته وجماله وغناه وذكائه، فتصير أناه مصدر سقوطه، مثلما حصل مع آدم. أمّا ابن الله، فلم يجعل مساواته للآب مصدر كبرياء، «لكنّه أخلى نفسه آخذًا صورة عبد» (في ٢: ٧). هذا هو سرّ التواضع الذي، فيه وحده، نستطيع أن نرتفع لأنّ «مَن يرفع نفسه يتّضع ومَن يضع نفسه يرتفع» (مت ٢٣: ١٢). الله، بمحبّته، كان يدرك أنّه سيخلي ذاته حتّى قبل أن يخلقنا، مع ذلك لم يتردّد في أن يهبنا الوجود ويحضّرنا للخلاص الذي سيحقّقه عبر تجسّده من العذراء مريم.

يبتدئ، في عيد البشارة، خلاصُنا الذي سيحقّقه الربّ يسوع. لقد تجسّد ابن الله من العذراء مريم، لكنّ ما يثير دهشتنا ليس فقط سرّ التجسّد، بل أيضًا كيفيّة إتحاد المسيح ذاتَه بكلّ مَن يؤمن به عبر المعموديّة والمناولة وسائر الأسرار المقدّسة والمقدّسة. لقد أُهِّلنا أن نتّحد بابن الله، فَلْنخرج من أنانيّتنا التي تأسرنا وتحجّمنا، وننطلقْ في مسيرتنا نحو الإتّحاد بالله عبر عيش سرّ المحبّة.

صلاة القدّيس غريغوريوس بالاماس

تتذكّر كنيستنا المقدّسة، في الأحد الثاني من الصوم، أبانا الجليل في القدّيسين غريغوريوس بالاماس رئيس أساقفة تسالونيكي (شمال اليونان). لقد كان هذا الأحد أصلاً معيَّنًا للقدّيس بوليكربوس أسقف إزمير، لكنّ الكنيسة عادت وكرّسته للقدّيس غريغوريوس بعد إعلان قداسته عام ١٣٦٨، معتبرةً حدث إعلان قداسته «إنتصارًا ثانيًا للأرثوذكسيّة».

لقد قدّم القدّيس غريغوريوس للكنيسة تقدمات لاهوتيّة

الإنجيل

(مرقس ٢: ١–١٢)

في ذلك الزمان دخل يسوعُ كَفْرَناحومَ وسُمع أنَّه في بيتٍ* فللوقت اجتمعَ كثيرون حتى إنَّه لم يعُدْ موضعٌ ولا ما حولَ الباب يَسَعُ وكان يخاطبهم بالكلمة* فأتوا إليهِ بمخلَّعٍ يحمِلهُ أربعةٌ* وإذ لم يقدروا أن يقتربوا إليه بسبب الجمع كشفوا السقفَ حيث كان. وبعدما نَقَبوهُ دلوا السريرَ الذي كان المخلَّعُ مضطجعاً عليهِ* فلمَّا رأى يسوعُ إيمانَهم قال للمخلَّعِ يا بُنيَّ مغفورةٌ لك خطاياك* وكان قومٌ مِنَ الكتبةِ جالسين هناك يفكّرون في قلوبِهِمْ ما بالُ هذا يتكلَّمُ هكذا بالتجديف. مَن يقدِر أنْ يغفِرَ الخطايا إلاَّ اللهُ وحدَهُ* فللوقت علمَ يسوعُ بروحِه أنَّهم يفكّرون هكذا في أنفسِهم فقال لهم لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم* ما الأيسرُ أن يُقالَ مغفورةٌ لك خطاياك أم أنْ يُقالَ قُمْ واحمِلْ سريرَك وامشِ* ولكن لكي تعلَموا أنَّ ابنَ البشر لهُ سلطانٌ على الأرض أن يغفِرَ الخطايا قال للمخلَّع* لك أقول قُمْ واحمِلْ سريرَك واذهب إلى بيتك* فقام للوقتِ وحمَلَ سريرَهُ وخرجَ أمامَ الجميعِ حتى

دهِش كلُّهم ومَّجدوا اللـهَ قـائلين مـا رأينـا مثل هذا قطُّ.

تـأمل

إن الذي يستسلم للملذّات هو مفلوج نفسيًا قابع على سرير محبّـة اللـذّة، معتقد بأنه هكذا يكون في راحة جسدية. لكن عند اقتناعه بالنصائح الإنجيلية وعند اعترافه يظفر على خطاياه، وهكذا يداوي شلل النفس. عندها يُحمل إلى الرب من قبل أربعة، على مثال المخلّع، أعـني: دينـونتـه الخاصـة لـنفسـه، اعترافـه بخطاياه السـابـقـة، وعده بـالإبتعاد في المستقبل عن كل شرّ، وابتهاله إلى الله الرحيم.

لكن هذه الأربعة لا تستطيع أن تقرّبنا إلى الله إن لم ننبش السقف مزيلين الـقـرمـيد والتراب والمواد الأخرى. السـقـف بـالـنسبة لـنـا هـو الـقسم الـعاقل من النفس لأنه أسمى ما يوجد فيها. هذا القسم فيه مواد كثيرة تـغـطّـيـه، ولـه صلة وثيقة بـالأرضيات وبالأهواء المختلفة. عندما تنكشف هذه المواد وتزول عن طريق العناصر الأربعة المذكورة أعلاه، عندها نستطيع بالفعل أن نتوجه إلى الربّ أي أن نـتـواضـع في الحقـيـقـة، أن نسـجد ونـقترب إلى الـرب ونطلب الحصول منه على الشفاء.

لكن متى تحصل مثل أعمال التوبة هذه؟ عندما جاء يسوع إلى مدينته أي عـنـدمـا أتـى إلى الـعـالم وعـقـائديّـة كـثـيـرة. أفـرَدَ قدّيسُـنـا جزءًا مـهـمًّـا من أعمـالـه للقدّيسة والدة الإله العذراء مريم. كتبَ لها صلاةً طويلةً، اعتبرها فيها شفيعةً لـلـخـطـأة لدى ابـنـهـا وإلهنا يسوع المسيـح. فـالـخـاطـئ الـذي يشعر بخطيئته، لا يستطيع أن ينظر إلى الديّان، لكنّ العذراء، إذ لها الدالّة الوالديّة، هي تتشفّع من أجله لكي يَسـهُـل الـلـقـاء: «يا سيّدتي الفائقة الـقداسـة، إقـبـلـي هـنـا اعـتـراف خـطـايـايَ الـكـثـيـرة والـمـرعـبـة، وانـقـلـيـه إلـى ابـنك الوحيد وإلهك، وابـتـهـلـي إلـيـه لكي يسامح نفسي الشـقـيّـة الـبـائسـة. وبـمـا أنّ كـثـرة خطاياي تُعيقني أن أواجهه وأطلب إلـيـه الـمـسـامـحـة، لذلك جئتُ إليكِ أرجوكِ أن تتوسّطي وتتضرّعي من أجلي».

يُظهر القدّيس غريغوريوس، من خلال الصلاة التي كتبها، فداحةَ الـخـطـيـئـة وعواقبها فيقول: «رغم أنّي تمتّعتُ بعطايا كثيرةٍ أغدَقها عـلـيّ الـلـه الـذي خـلـقـنـي، إلّا أنّـي فـقدتُـهـا كـلّـهـا، وغدوتُ أنا الشقيّ عديمَ النّفع بالكلّيّة، وانضممتُ إلى قـطـيـع الـبـهـائـم الـتـي لا عقل لها، وصرتُ واحدًا معها، فافتقرتُ من الـفـضـائـل واغـتـنـيتُ بـالأهـواء، وصـرتُ أخـجـل حـيـنـمـا أتـجـرّأ وأحضُـر أمـام الـلـه مَـلـومًـا مـنـه ومُـحـزنًـا الـمـلائـكـة، تُـعـيّـرُنـي الشـيـاطـيـن ويـكـرهـنـي الـبشر ويـبـكّـتـني ضميري، وأخجل دائمًا من أعمالي الشرّيرة، وكدتُ أصير مـيـتًـا قـبـل أن أمـوت، وأشعر بأنّي مدانٌ مـن نـفـسـي، بـحـقّ، قـبـل الديـنـونـة الأخـيـرة، وحـتّـى قـبـل الجحيم الأبديّة، أنا أعاقب ذاتي، مصابًا باليأس».

ثمّ يعود إلى مناجاة والدة الإله، وفي مناجاته يُظهر كم أنّ الإنسان محتاجٌ إلى أن تكون لديه معرفة عـمـيـقـة بـالـكـتـاب الـمقدّس، ليس قراءةً سطحيّةً وحسب، بل أن يصير مـعـجـونًـا بـكـلـمـة الـربّ، فـيـصـبـح حسّـاسًـا تـجـاه أيّ أمـر يـقـوم بـه: «لذلك، ألجأ إلى معونتكِ الوحيدة، أيّتها السيّدة الفائقة القداسة، أنا الـمـديـن بـالـكـثـيـر مـن الـمـواهب، والضـالّ الـذي صـرفـتُ كلّ ثـروتي الأبويّة مع الزواني، أنا الذي فُقتُ الـزانـيـة الـمـذكـورة فـي الإنـجـيـل بـالخطايا، وتعدّيتُ أكثر من منسّى، وصرتُ عديم الشفقة أكثر من غنيّ المَثَل الإنجيليّ، أنا العبد الطمّاع الـذي لا يشـبـع، والـوعـاء الـنَّـتِـن لـلأفـكـار الشرّيـرة، وحـارس كـنـز الأقوال البذيئة والمقرفة، وأخيرًا، صرتُ غريبًا من كلّ صلاحٍ وعملٍ فاضل».

أيضًا، يُظهر قدّيسُنا الحالات الـمـتـعـدّدة الـتـي يـتـعـرَّض لـهـا المؤمن، الذي إذا كـان ثـابـتًـا في إيـمـانـه، يـعـبـرهـا بشفاعات والدة الإلـه: «أتـوسّـل إلـيكِ أيّـتـهـا السيّدة الفائقة القداسة، عندما أسير كوني مرافِقَتي، وعندما أسافر في البحر سـافـري مـعـي، وعـنـدمـا أسـهـر لـلـصـلاة قـوّيـنـي. عـنـدمـا أحـزن عزّيـنـي، وحـيـنـمـا أفـقـد شجاعتي اعضديني. عندما أمرض امنحيني الشفاء، وعندما أُظلَم حَلّي مرارتي، وعـنـدمـا يـوشـى بـي أبـرئـيـنـي، وعـنـدمـا أتـعـرّض لـخـطـر الـمـوت أسرعي وخلّصيني، وعندما يحيط بي أعدائي غير المنظورين كلّ يوم، أظـهـريـنـي لـهـم رهيبًـا وقويًّـا، لكي يـعـرفـوا جـمـيـعـهـم، كم يعذّبونني ظلمًا، أنا العبد المؤمن».

يـعـلّـمنا القدّيس غريغوريوس كيف أنّ المؤمن لا يصلّي روحيًّا فقط، بل يُشرك جسدَه في صلاته، لأنّ الإنسانَ كلاًّ واحدة، ويذكّرنا

بمعموديّتنا، حيث يمسح الكاهن جميع أعضائنا وحواسّنا لكي تصير خادمة للربّ: «أطفئي نار أهوائي الجسديّة، هدّئي العواصف العاتية التي تعصف في نفسي، حَلّي مرارة غضبي، وانزعي من ذهني الكبرياء وتباهي المجدِ الفارغ، وامحي من قلبي التخيُلات الليليّة التي تضعها الأرواحُ الشرّيرة، والهجمات الحاصلة في النهار من جرّاء الأفكار الدَّنِسة، لقِّني لساني أن يلهج بكلّ أمر يساعد في نموّ حياتي الروحيّة، وعلّمي عينيَّ أن تنظرا باستقامةٍ طريقَ الفضيلة القويمة، واجعلي قدميّ تركضان من دون عوائق على طريق الوصايا الإلهيّة المغبوطة وقدّسي يديّ لأستحقّ أن أرفعهما كي أتضرّع إلى المسيح، وطهّري فمي، حتّى يملك الشجاعةَ فيُصلّي إلى الآب، اللهِ الرهيبِ والكلّيّ القداسة. إفتحي أذنيّ لأسمع، بكلّ أحاسيسي وذهني، أقوال الكتب المقدّسة الأحلى من العسل بشهده، وأن أعيش بحسب تعاليمها متقوّيًا من نعمتكِ».

القدّيس غريغوريوس، بصلاته إلى والدة الإله، يضعُنا أمام طريقٍ متّجهٍ نحو الله، لا يمكننا تجاوزه من دون الشعور بضعفنا، وبحاجتنا إلى معين، وهذا قمّة التواضع المؤدّي إلى التوبة الحقيقيّة. إذا كنّا نشعر بأنّنا أقوياء ويمكننا العبور وحدنا، نكون على خطأ. لقد وعت كنيستنا المقدّسة حاجتنا هذه، فوضعت لنا آباء روحيّين يرشدوننا، من خلال سرّ التوبة والإعتراف، إلى الطريق الأسلم نحو الملكوت. فلا يَمُرَّنَّ هذا الصوم الأربعينيّ المقدَّس من دون أن نسلك درب التوبة المقدَّس ونعترف بخطايانا، علَّنا نقف مبرَّرين أمام العرش الرهيب، بشفاعات والدة الإله والقدّيس غريغوريوس بالاماس.

بشارة والدة الإله

بمناسبة عيد بشارة والدة الإله تُقام خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء الأحد ٢٤ آذار وصلاة السَحَر عند التاسعة وخدمة القداس الإلهي عند العاشرة من صباح الإثنين ٢٥ آذار في كنيسة بشارة السيدة في الأشرفية.

والدة الإله

إن والدة الإله لم تخطئ البتة ولو بفكرةٍ واحدة، كما أنها لم تفقد النعمة طُرًّا، ومع ذلك كانت أحزانها جسيمة. فحينما وقفت عند الصليب، كان أساها كالمحيط لا ينتهي، وعرفت نفسُها الألم على نحوٍ أشدّ عمقاً بما لا يُقاس ممّا كابده آدم حين طُرد من الفردوس، وذلك لأن حدّ حبّها كان أعظم للغاية من الحب الذي كان آدم يكنّه عندما كان في الفردوس. أمّا أنها لم تمت حينها فذلك فقط لأنّ قدرة الله كانت تحافظ عليها، ولأنه شاء أن ترى قيامته وأن تبقى حيّة بعد صعوده لتكون التعزيةَ والفرح للرسل والمسيحيين الجدد.

القديس سلوان الآثوسي

للإطلاع على أخبار الأبرشية:

www.facebook.com/metbei

كإنسان. العالم هذا هو خاصته لأنه من إبداعه كما يقول الإنجيلي يوحنا: «إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله. وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه» (يو ١: ١١-١٢). هكذا عندما يسجد الذهن الذي عانى الشلل بإيمانٍ يسمع للحال الرب يدعوه «يا بنيّ»، ويتقبّل منه الغفران والشفاء ليس فقط هذا، بل أيضاً يحصل على القدرة التي تجعله ينهض ويحمل سريره على كتفه، السرير الذي كان مستلقياً عليه. أعني بالسرير الجسد المادي المرتبط به والذي به يتمّم الذهن الخاضع للشهوات الجسدية التي تسبّبها الخطيئة.

لكن بعد الشفاء يسود الذهن على الجسد ويرشده، فيصبح الجسد خاضعاً له. يُظهر الذهن، عن طريق الجسد، ثمار التوبة وأعماله حتى ان الشهود على كل ذلك يمجّدون الله عندما يرون اليوم إنجيلياً كان بالأمس عشاراً، رسولاً كان مضطهداً، لاهوتيًا كان لصًا، ابن الآب السماوي مَن كان بالأمس يعيش ويتصرّف مع الخنازير. فتراه يحقّق مصاعد في قلبه ويرتقي من مجد إلى مجد، يتقدّم كل يوم نحو الأفضل.

القديس غريغوريوس بالاماس